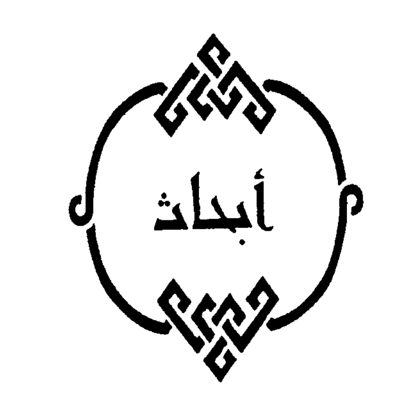


شبهات المستشرقين حول سند الحديث ومتنه وحركة الوضع فيه والرد عليهم

عبير سالم مطلق الحربي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الحفيظ العليم، أنزل علينا خير كتبه، وأرسل إلينا أشرف رسله، أحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله العظيم، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث بالهدي القويم، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين. وبعد:

لقد واجهت السنة المشرفة في العصور الحديثة هجماتٍ شرسة من أعدائها، ولعل ظهور الفكر الاستشراقي وأربابه من أخطر هذه الهجمات، لا سيما وأنها في الظاهر أفكار علمية تنتشر بصورة سليمة ينخدع بها الجاهلون.

وإن تعجب فعجبٌ حال أولاء المستشرقين أفنوا أعمارهم في البحث والتحصيل والتأليف، واتسمت كتاباتهم بالجدية، ولكلٍ منهم هدف يروم بلوغه، لكن الذي يجب تأكيده هو أنهم وقعوا في أخطاء فادحة ؛ نجمت عن وقوفهم على ظواهر الأمور، وعدم إدراك حقائقها، وعدم إحاطتهم بالظروف، والعصر، والبيئة والملابسات التي صاحبت جمع السنة وكتابتها، ودراسة أحوال رجالها.

إن "الحديث النبوي مصدر في التشريع مبين للقرآن، ومفصل لما أجمل فيه من أحكام، ومقيد لما أطلق فيه، ومخصص لعامه، ومقررٌ لأحكام لم ينص عليها الكتاب،

ولا يمكن أن يتكامل تصور الإسلام وفهمه دون الحديث"[١].

ولهذه الأهمية العظمى للحديث النبوي وجه أعداء الإسلام من المستشرقين وأذنابهم سهامهم المسمومة التي أُلبست طابع العلم والبحث زوراً وبهتانا، فتارة يطعنون في سنده، وتارة في متنه، وتارة يزعمون أنه قد تَلفق و لم يعد بالإمكان تمييز صحيحه عن سقيمه.

وقد سخر الله لسنة نبيه ﷺ - في كل عصر — من ينتصر لها، ويرد كيد أعدائها، ولن يخلو عصر بإذن الله من عالِم صادق ينفي عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وقد عزمتُ بعون الله أن ألقي الضوء على أبرز الشبهات التي حامت حول سند الحديث ومتنه، وحركة الوضع التي نشأت إذ ذاك، مع محاولة الرد عليها بما يتناسب مع المقام، وجعلتها تحت عنوان: (**شبهات المستشرقين حول سند الحديث ومتنه،والوضع فيه والرد عليهم**).

أسباب اختيار هذا الموضوع:

١) الوقوف على أبرز الشبه التي يثيرها المستشرقون حول الحديث النبوي، ومنهج العلماء وأولي البصائر في تفنيد هذه الشبه، والرد عليها.

٢) تحديد المنافذ التي ينطلق منها المستشرقون في إثارة الشبه، والغرض الذي يحملهم على ذلك.

٣) نيل شرف الانتصار للسنة، ولحوق ركب السائرين في خدمتها، فرب كلمة صادقة أورثت عزة الدنيا وفلاح الآخرة.

---

(١) ينظر: بحوث في تاريخ السنة المشرفة / د. أكرم العمري.

الدراسات السابقة للموضوع:

لا تكاد تخلو كثير من المؤلفات الحديثة حول السنة النبوية من الانتصار لها، ورد كيد أعدائها، بشكل أو بآخر كيف لا وهذا هو الهدف الذي لأجله انبرت الأقلام في تأليفها، وهناك بعض المؤلفات والدراسات التي تخصصت في تفنيد شبه المستشرقين حول السنة والحديث النبوي، أذكر أمثلة منها:

١) **المستشرقون والحديث النبوي**، تأليف: د. محمد بهاء الدين.

٢) **المستشرقون والسنة**، تأليف: د. سعد المرصفي.

٣) **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم**،

تأليف: محمد لقمان السلفي.

٤) **دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، وبيان الشبه الواردة على السنة قديماً وحديثاً وردها رداً علمياً صحيحاً**، تأليف: د. محمد بن محمد أبو شهبة رحمه الله.

٥) **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء السنة من الزلل والتضليل والمجازفة**، تأليف: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة:

اشتملت على أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث فيه.

التمهيد، وفيه:

التعريف بالاستشراق، ودراسة المستشرقين للأحاديث النبوية.

المبحث الأول: شبهة المستشرقين حول سند الحديث، والرد عليهم.

المبحث الثاني: شبهة المستشرقين حول متن الحديث، والرد عليهم.

المبحث الثالث: شبهة المستشرقين حول الوضع في الحديث، والرد عليهم.

الخاتمة: تضمنت أبرز النتائج.

وذيلت البحث ببعض الفهارس لتيسير الرجوع إلى محتوياته.

* * *

تمهيد

التعريف بالاستشراق، ودراسة المستشرقين للأحاديث النبوية

أولاً: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا.

الاستشراق في اللغة: أصله من كلمة (شرق)،والشرق خلاف الغرب،والشرق (الشمس نفسها)[١].

ثم أضيف إليه الألف والسين والتاء ومعناها: طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه.

أما في **اللغات الأوروبية** فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية، حيث إن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي، وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية، بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء[٢].

---

(١) ينظر: المحيط في اللغة:(١ / ٤٣٦).

(٢) ينظر: الاستشراق / د.مازن مطبقاني: (ص: ٢).

الاستشراق في الاصطلاح:

الاستشراق مصطلح يحفه كثير من الإبهام والتعميم ؛ لأنه مشتق من (الشرق) وهي اصطلاح نوعي، وقد كثر فيه التصنيف والتعريف على حسب الاتجاهات التي تناولها كل مصنف ولقد وقفتُ على تعريفين جامعين:

أحدهما: التعريف الذي قدّمه أحمد عبد الحميد غراب في كتابه "رؤية إسلامية للاستشراق" حيث جمع تعريفات عدة استناداً إلى العديد من المراجع في هذا المجال:

"هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون - من أهل الكتاب بوجه خاص- للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانات... بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"(١).

والثاني: تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم وأرضهم وحضاراتهم وكل ما يتعلق بهم(٢).

ثانياً: لمحة موجزة عن دراسة المستشرقين للأحاديث النبوية:

أمضى المستشرقون كثيراً من الوقت في الدراسات الأدبية والتاريخية وغيرها من الموضوعات، لكن توجههم إلى دراسات الحديث النبوي لم يأت إلا في وقت متأخر.

ويعتبر كتاب "دراسات محمدية" للمستشرق جولد تسيهر أول محاولة لها قيمتها

(١) ينظر: الاستشراق / د. مازن مطبقاني: (ص: ٥).
(٢) أجنحة المكر الثلاثة: (١ / ٥٣).

العلمية في ذلك الوقت.

ثم جاء بعده في الأهمية كتاب "أصول الشريعة المحمدية" للمستشرق شاخت الـذي قضى أكثر من عشرة أعوام في البحث في معادن الأحاديث الفقهية.

وهناك كتاب بعنوان "أحاديث الإسلام" للمستشرق ألفريد جيـوم تعـرض فيـه للأحاديث النبوية، ولكنه اعتمد على كتابات سابقه جولد تسيهر.

و لم يقتصر الأمر على البحث والتأليف عند المستشرقين، بل تعداه إلى ترجمة بعض كتب الحديث وعلومه، مثل "مشكاة المصابيح"، و"المدخل" للحاكم الذين ترجمهما إلى الإنجليزية المستشرق ربسون[١].

ورغم تعدد الدراسات إلا أن أقواها تأثيراً، وأوسعها انتشاراً تلك الـتي قـام بهـا المستشرق تسيهر حتى قيل: "إن العلم مدين ديناً كبيراً لما كتبـه جولـد تـسيهر في موضوع الحديث"[٢].

ثالثاً: منهج المستشرقين في تناول القضايا المتعلقة بالحديث النبوي:

توصل المهتمون بالدراسات التي تعنى بتتبع مناهج المستشرقين إلى أن النزعة الجدلية هي أبرز ما انتهجه المستشرقون وعلماء الغرب في طرح قضايا الإسلام ودراسته عقيدة وفكراً وتاريخاً وحضارة.

والقرآن الكريم يشير إلى أن الجدال على سبيل المنازعة والمغالبة، ومن أجل مداحضة الحق هو من سمات الكافرين قال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[٣]. وتأتي كلمة الكفر هنا مرتبطة مع الجدال وكلاهما يتفقان في معنى الجحود والتغطية والطمس لمعالم الحق حتى وإن استبان الدليل وقامت الآيات.

---

(١) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي: (ص: ١٩وما بعدها) بتصرف.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية / المجلد السابع / مادة الحديث، نقلاً عن المصدر السابق: (ص: ٢١).

(٣) من الآية: (٥٦) من سورة الكهف.

"إن المستشرقين في جدالهم انهالوا على الحديث النبوي يجردونه من مصدريته العلوية، وقاموا بتتريله على الوضع فيه شكلاً ومضموناً، ورفعاً لقداسته وبعده التعبدي، فسروا تشريعيته بأنها غير ربانية ولا قرآنية، بل هي في زعمهم وليدة الظروف والملابسات، وقالوا في الحديث الشريف بالمشافهة لتأصيل التدليس فيه والدس، وعدم قيده باللفظ النبوي، وقولاً باختراعه متحرراً من الضوابط توصلاً إلى التشكيك في مصداقيته التاريخية والعلمية"[1].

رابعاً: أهداف المستشرقين من الدراسات الحديثية

إن دراسة الأهداف التي يسعى المستشرقون لتحقيقها من خلال قيامهم ببعض الدراسات الحديثية وما يتعلق بها لا بد أن ينطلق من فهم عميق للبنية الفكرية، والتركيبة النفسية والتاريخية، لفلسفة هذه الأهداف والقصود، ومعرفة اتجاه هذه المرامي.

ويمكن تحديد بعض المظاهر التي تتجلى في هذه الأهداف كما يلي:

١) في صفتها: وكونها أهدافاً عدائية عنصرية.

٢) في محركها والباعث عليها، واتحادها معه على أساس أنها دينية.

٣) في مضمونها الثقافي والتاريخي، وكونها هجومية حربية.

ولتقريب الصورة بشكل أوضح يمكن طرح هذين السؤالين:

ما الذي يدفع الباحث الغربي إلى بذل كل هذا الجهد والوقت والمال في دراسة عالم غريب عنه؟ وما الذي يحمله على ذلك وقد كان بوسعه أن يوجه جهده لدراسة مجالات فكرية وعلمية أرحب ضمن ثقافته تجلب له الشهرة وتعود عليه بالنفع العظيم؟

(١) ينظر: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: (ص: ٣٧٦-٣٧٧).

يقول نجيب العقيقي: "فلو أن أحدهم انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة، أو جمع طوابع البريد النادرة، أو كتابة القصص البوليسي، بدل التحقيق والترجمة والتصنيف، لخرجت به من تلك الجزائر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الرحب في القرن العشرين، ولعادت عليه برخاء من العيش، وشهرة بين الناس، وسلامة من النقاد"[١].

اتجه بعض الباحثين إلى تغليب الهدف العلمي من الاستشراق على سائر الأهداف الأخرى من دينية وتجارية وسياسية واستعمارية، ولكن الباحث الدقيق يخلص بالتأكيد إلى تغليب الهدف الديني.

وسأقتصر في هذه العجالة على هذين الهدفين لاختصاصهما بموضوع البحث وتعلقهما المباشر به.

أولاً: الهدف الديني:

سار الاستشراق منذ بدايته في ثلاثة اتجاهات متوازية تتمثل فيما يلي:

١) محاربة الإسلام وتتبع مثالبه ـ على حد تصويرهم وزعمهم — والتقليل من شأن النبي ﷺ، ورسالته التي جاء بها للعالمين.

٢) حماية النصارى من خطره بطمس معالمه، وإخفاء حقائقه، وتزييف معانيه، حذراً من استمالة الدين إياهم، واللجوء إلى اعتناقه.

٣) حملات التبشير والجهود المبذولة في محاولة تنصير المسلمين.

ثانياً : الهدف العلمي:

تنوع الهدف العلمي للاستشراق على ضربين: نزيه خالص، ومشبوه

فأما الأول: فهو ما ابتغي به وجه العلم الصرف بدافع نبيل، ومقصد شريف

---

(١) المستشرقون / للعقيقي (٦٠٥/٣).

من حب اطلاع على الأديان والثقافات والحضارات واللغات، دونما شوائب بحيث تجئ أبحاثهم أقرب إلى الفهم الصحيح، كإعداد المعاجم[1]، وضبط الفهارس[2].

إن الأمانة والنزاهة والحياد التي أحاطت **بالقليل** من المستشرقين الذين سعوا لخدمة العلم قادهم بإذن ربهم إلى الاستبصار والاهتداء، واعتناق الدين الحنيف عن قناعة ورضا وتسليم: ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[3].

وأما الثاني: فيتجه إلى الطعن والتشكيك والإنكار والتخبط في التحليل والتفسير والتأويل، ويذهب بهم الشطط إلى مزالق خطيرة في تنظير المفاهيم الأصيلة وتزييفها، وهذا النوع من الأهداف هو ما يقصده معظم المستشرقون، وهو الذي يحصل على الدعم الكبير من الجهات الممولة، مع توفير شتى الوسائل والإمكانيات لتذليل ما يعترضه من مصاعب، وصدق الله القائل: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[4]. وهذا الهدف هو الذي سعى لأجله المستشرقون الذين تناولوا الأحاديث النبوية، وتناوشوا أسانيدها ومتونها في محاولة للتشكيك في مشروعية السنة وأصالتها وسيتضح ذلك في هذا البحث إن شاء الله من خلال المباحث القادمة.

* * *

(١) ومن ذلك: كتاب: (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) الذي أعده المستشرق الألماني فلوجل، وطبع في ليبسيك سنة (١٨٤٢م) .

(٢) ومن ذلك (مفتاح كنوز السنة) وهو عبارة عن فهرس عام للكشف عن الأحاديث النبوية وتخريجها، وضعه لفيف من المستشرقين، ونشره محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

(٣) من الآية (٣٥) من سورة النور.

(٤) من الآية (٨) من سورة الصف.

المبحث الأول
شبهة المستشرقين حول سند الحديث

توطئة: في التعريف بالسند لغة واصطلاحا:

السند في اللغة:

مَا اسْتَنَدْتَ إِلَيْهِ مِنْ حَائِطٍ وَغَيْرِهِ[١].

والسَّنَدُ ما ارتَفَعَ من الأَرض في قُبُل الجبل أَو الوادي والجمع أَسْنادٌ[٢]، وفلان سند أي: معتمد[٣].

السند في الاصطلاح:

طريق متن الحديث، وسُمِّي سنداً ؛ لاعتماد الحفَّاظ في صحة الحديث وضعفه عليه[٤].

شبهة المستشرقين حول سند الحديث:

لقد عمد المستشرقون إلى الطعن في الأسانيد والتقليل من شأنها، وزعموا أن نقد الأسانيد وإن كان بلغ الغاية في البحث في تاريخ الرجال، إلا أنهم قد خفيت عليهم في نقد الأسانيد أمور لم يلتفتوا إليها، و لم يعيروها العناية الكافية[٥].

قالوا ذلك بالرغم من أنهم ليس لهم في الغالب إسناد فيما يعتقدون أو يتبعون إلا أنهم مابرحوا يَحِيكون المفتريات على الإسناد[٦].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (٤ / ٣٤٠).
(٢) لسان العرب: (٣ / ٢٢٠).
(٣) الصحاح: (١/ ٤١٨).
(٤) توجيه النظر إلى أصول الأثر: (١ / ٨٩).
(٥) ينظر: دفاع عن السنة / لأبي شهبة رحمه الله: (٣٧١).
(٦) ينظر: المستشرقون والسنة / د. سعد المرصفي: (ص: ٤٦).

ومن أبرز ما تناوشه المستشرقون بشأن السند **اختلافهم في بداية استعماله في الأحاديث النبوية .**

قال (كايتاني)[1]: "أقدم من قام بجمع الأحاديث وهو عروة (ت٩٤هـ) لا يستعمل الأسانيد، ولا يذكر المصدر لكلامه غير القرآن الكريم كما هو واضح في نقول الطبري عنه".

وأشار (شبر نجر) إلى نحو ما أشار إليه (كايتاني) قائلاً: إن كتابات عروة إلى عبد الملك خالية من الأسانيد، ولذلك فما نسب إلى عروة من استعماله للأسانيد لا بد أن يكون شيئاً متأخراً نسبياً.

أما (هوروفتس)[2] فقد درس مسألة بداية الإسناد دراسة جادة، ورد على (كايتاني) و(شبر نجر) ردّاً مفحماً، وأشار في بحثه إلى أن الذين نفوا استعمال عروة للإسناد لم يدرسوا كتاباته وأسانيده كاملة، وأخيراً توصل إلى نتيجة وهي أن بداية الإسناد في الأحاديث تذهب إلى الثلث الثالث من القرن الأول[3].

---

(١)ليوني كايتاني(١٨٦٩م-١٩٢٦م)

من أبرز المستشرقين الإيطاليين، فقد كان يتقن عدة لغات منها العربية والفارسية. عمل سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة. زار الكثير من البلدان الشرقية منها الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان. من أبرز مؤلفاته "حوليات الإسلام" في عشرة مجلدات تناولت تاريخ الإسلام حتى عام ٣٥هـ، وأنفق كثيراً من أمواله على البعثات العلمية لدراسة المنطقة. يعد كتابه "الحوليات" مرجعاً مهماً لكثير من المستشرقين .

ينظر: الاستشراق / د. مازن مطبقاني (١ / ٢٦)، وينظر موسوعة المستشرقين (ص: ٤٩٣).

(٢) هوروفتس (١٨٤٧- ١٩٣١):

مستشرق ألماني يهودي، تعلم في جامعة برلين، ثم عين مدرساً بها، ثم عمل بالهند مدرساً للغة العربية في كلية (عليكرة الإسلامية)، كانت رسالته في الدكتوراه عن كتاب المغازي للواقدي، وحقق جزئين من طبقات ابن سعد، من أهم مؤلفاته وأبحاثه: "مباحث قرآنية" و"الجنة في القرآن" و"أسماء الأعلام اليهودية ومشتقاتها في القرآن". ينظر: موسوعة المستشرقين / عبد الرحمن بدوي (ص: ٦٢١).

(٣) ينظر: دراسات في الحديث النبوي / د. الأعظمي: (ص: ٣٩٢-٣٩٣).

وأما المستشرق (شاخت)[١] فقد درس الأحاديث الفقهية وتطورها - على حد زعمه- وفي نظره أن الإسناد جزء اعتباطي في الأحاديث[٢].

ويضرب لذلك مثلاً فيقول: الحديث الوحيد الذي كان يعرفه مالك عن النبي ﷺ في المسح على الخفين هو بإسناد ذي أخطاء حتى إن الزرقاني يتهم مالك بارتكابه خطأين، ويتهم يحيى بن يحيى بخطأ آخر لكن هذا هو الشكل الأصيل الصحيح للإسناد، أما التطور الذي حصل وغير الجزء العلوي من الإسناد حتى إنه لا يمكن التعرف عليه فقد حدث مؤخراً[٣].

وقد درس المستشرق (روبسون) موضوع السند بشيء من التوسع فقال: "في منتصف القرن الأول يمكن للمرء أن يتوقع شيئاً ما يشبه السند، إذ قد مات عدد من الصحابة في ذلك الوقت، والذين لم يروا النبي ﷺ بدؤوا يقصون عنه، فكان من الطبيعي أن يسألهم السامعون عن مصادرهم أو معلوماتهم ما لم تكن مباشرة، حيث لم يروا النبي ﷺ، أما وجود نظام دقيق للإسناد فلا بد أن يكون تدريجياً بحتاً..."[٤].

وعلى الرغم من اتباعه أسلوباً أكثر واقعية إلا أنه لم يختلف في النتيجة عن الآخرين ضارباً على نفس الوتر الذي يدور حول اختلاق الأسانيد من قبل علماء المسلمين في

---

(١) جوزف شاخت (١٩٠٢م- ١٩٦٩م)
درس اللغات الشرقية في جامعة برسلاو وليبتسك، انتدب للعمل في الجامعة المصرية عام ١٩٣٤لتدريس مادة فقه اللغة العربية واللغة السريانية. شارك في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية. عرف شاخت باهتمامه بالفقه الإسلامي وله كتاب مهم وهو "بداية الفقه الإسلامي" ولكنه صاحب إنتاج في مجال المخطوطات وفي علم الكلام وفي تاريخ العلوم والفلسفة. ينظر: الاستشراق / د. مازن مطبقاني (١ / ٣٩-٤٠)، وينظر موسوعة المستشرقين (ص: ٣٦٦)

(٢) ينظر: دراسات في الحديث النبوي / د. الأعظمي: (ص: ٣٩٤).

(٣) ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: (١/ ١٠٦)، دراسات في الحديث النبوي / د. الأعظمي: (ص: ٤٢٣) نقلاً عن كتاب٢٦٣: /Origins .

(٤) ينظر: المستشرقون و الحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص: ١٠١).

القرون التي تلت القرن الأول الهجري[1].

وقد بين (كولسون) وجهة نظره في الأسانيد فقال: "إن أهل الحديث تأكيداً لمذهبهم في ضرورة اتباع ما تقرر من أحكام في القرآن بدؤوا ينسبون كثيراً من القواعد والأحكام خطأً إلى رسول الله، وكانوا يضعونها في شكل قصص وأخبار عما قاله محمد أو فعله في مواقف معينة... وكان ذلك نتيجة اعتقادهم الجازم أن النبي ﷺ سيقضي بالأحكام التي نسبوها إليه حتماً فيما لو واجهته المشاكل التي وقعت..."[2].

أما المستشرق (مونتجمري)[3] فقد ادعى أن السند بدأ بشكل غير كامل، واستدل بما جاء في كتاب ابن إسحاق في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وبالواقدي... وأن كاتبه ابن سعد وهو أصغر منه بحوالي عشرين عاماً يحاول ذكر سلسلة الرواة كاملة... والذي ألح على الإتيان بسلسلة الرواة كاملة هو الشافعي الذي كان معاصراً للواقدي، حتى إذا عم ذكر السند الكامل اندفع المحدثون إلى العودة بالسند إلى معاصري محمد ﷺ حتى إذا انضافوا إلى الرواة فإن إضافتهم كانت صحيحة ؛ لأنهم عرفوا من أين استقى سابقوهم معلوماتهم، وهذا يعني فقط أننا لا نستطيع وصل الحلقات الأولى من السلسلة كما هو الشأن في الحلقات المتأخرة [4].

(١) ينظر: المستشرقون و الحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص: ١٠٢).

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: (١/ ٢٧٠)، المستشرقون و الحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص: ٩٩- ١٠٠).

(٣) مونتجمري: عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبره ومتخصص في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس. وعمل رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من ١٩٤٧-١٩٧٩. دعي أستاذاً زائراً لعدد من الجامعات في باريس وواشنطن وغيرها، صدر العديد من المؤلفات من أشهرها: "محمد في مكة" و"محمد في المدينة" و "محمد نبي ورجل دولة" و" الفلسفة الإسلامية والعقيدة" و" الفكر السياسي الإسلامي" و"تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى" و"الأصولية الإسلامية والتحديث" و"العلاقات الإسلامية النصرانية " ومن آخر كتبه "حقيقة الدين في عصرنا"وكتاب "الفترة التكوينية للفكر الإسلامي" و"موجز تاريخ الإسلام"، وغيرها كثير. ينظر: الاستشراق: (ص: ٣٤- ٣٥) د. مازن مطبقاني.

(٤) المستشرقون و الحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص: ١٠٠- ١٠١).

الرد على شبه المستشرقين حول السند:

قبل الشروع في الرد على هذه الشبه يحسن في هذا المقام الإشارة إلى قضيتين مهمتين:

الأولى: أهمية السند ومنزلته عند المحدثين:

وردت أخبار عديدة وأقوال كثيرة لعلماء المسلمين تشير إلى أهمية السند، ومزاياه، وفوائده، وضرورة العناية به. ومن ذلك:

١ـ قول عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[١].

٢- وقال سفيان الثوري: «الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح، فبأي شيء يقاتل»[٢].

٣- ما رواه الخطيب البغدادي بسنده إلى محمد بن حاتم بن المظفر «إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها، قديمهم وحديثهم، إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات...»[٣].

٤- قال بقية بن الوليد: «ذاكرت حماد بن زيد أحاديث فقال: ما أجود أحاديثك لو كان لها أجنحة يعني أسانيد»[٤].

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه، باب في أن الإسناد من الدين: (١ / ١٢) ح (٣٢).

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي: (١ / ٩٢)، تدريب الراوي: (٢ / ١٦٠).

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي: (١ / ٨٦).

(٤) الضعفاء للعقيلي: (١ / ٤٩٦)، فتح المغيث: (٣/٤).

الثانية: مصادر المستشرقين في البحث عن أسانيد الأحاديث:

لقد تقرر لدى أولي البحث والنظر في شؤون الاستشراق والمستشرقين فيما يتعلق بدراساتهم للحديث النبوي أنهم لم يحسنوا اختيار مصادر البحث عن الأسانيد مما كان له أكبر الأثر في توصلهم إلى نتائج خاطئة .

ومن ذلك اعتمادهم على بعض كتب الفقه والسيرة، وكما هو معلوم أن منهج الفقهاء غير منهج المحدثين، إذ إن الفقهاء كانوا يحذفون الأسانيد غالباً من الروايات التي يستشهدون بها طلباً للاختصار، كما كانوا يقتصرون على ذكر بعض المتون أحياناً للغرض نفسه، إذ الأحاديث متونها وأسانيدها لم تكن خافية في الأوساط العلمية، فكانت الإشارة كافية في ذلك.

وقد تنوعت أساليبهم على صور شتى منها:

١- حذف جزء من السند وقطعه، والاكتفاء بأقل قدر ممكن من المتن الذي يدل على المقصود (موضع الشاهد).

٢- حذف كامل السند، والنقل مباشرة من المصدر الأعلى.

٣- طريقة أبي يوسف في استعمال السند التي تعد أحد مصادر بحث المستشرقين عن السند توضح أنه يستعمل أحياناً السند كاملاً، ويقطعه أحياناً، ويضع كلمة مبهمة تشير إلى اسم معروف لديه كان قد ذكره قبل صفحات.

٤- استعمال كلمة السنة أو مشتقاتها أو ما في مدلولها للدلالة على أفعال النبي ﷺ من غير ذكر حديث أو سند؛ لأن الحديث كان معروفاً ومشهوراً في الأوساط العلمية[1].

---

(١)ينظر: دراسات في الحديث النبوي / د. الأعظمي: (ص: ٣٩٨ -٤٠٤)، المستشرقون والحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص: ١١٧).

ولا ريب أن أهل الحديث هم أهل الصنعة والدراية به، والرجوع إلى مصادرهم الأصيلة في مباحث الحديث هو الأولى والأجدر.

يقول الإمام مسلم رحمه الله تعالى: «واعلم رحمك الله أن صناعة الحديث، ومعرفة أسبابه من الصحيح والسقيم إنما هي لأهل الحديث خاصة ؛ لأنهم الحفاظ لروايات الناس، العارفين بها دون غيرهم. إذ الأصل الذي يعتمدون لأديانهم السنن والآثار المنقولة، من عصر إلى عصر من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا هذا، فلا سبيل لمن نابذهم من الناس، وخالفهم في المذهب، إلى معرفة الحديث ومعرفة الرجال من علماء الأمصار فيما مضى من الأعصار، من نقل الأخبار وحمال الآثار؛ وأهل الحديث هم الذين يعرفونهم ويميزونهم حتى يترلوهم منازلهم في التعديل والتجريح...»(١).

الرد عليهم بشيء من التفصيل:

أما قول المستشرقين بأن هناك أموراً في الإسناد لم يعيروها العناية الكافية فهذا مردود عليه، فلقد قام جهابذة النقاد بانتقاد آبائهم، وإخوانهم، وأصدقائهم، وأقارهم، وأبنائهم، وعلى الأغلب هذا هو المنتهى لما يمكن أن يوضع من المستوى للأمانة المطلوبة.

ولا تزال كتب الحديث تقدم الأدلة والبراهين التي تبعث الطمأنينة في قلب كل باحث.

كما اتبع النقاد طريقة أخرى لاختبار صدق الرواة وهي المقارنة بين الروايات المختلفة، وكان هذا المنهج متبعاً لدى المحدثين في عهدٍ مبكرٍ جداً.

---

(١) التمييز للإمام مسلم: (١ / ٥١-٥٢).

قال أيوب السختياني: إذا أردت أن تعرف خطأ معلمك فجالس غيره[1].

وقال ابن المبارك: إذا أردت أن يصح لك الحديث فاضرب بعضه ببعض[2].

وهذا يكشف لنا منهج استعمال الأسانيد في نقل الأحاديث النبوية من وقت مبكر جداً.

ومن ذلك أننا نرى مثلاً بعض الصحابة رضوان الله عليهم كعمر وعثمان وعلي الذين ماتوا في وقت مبكر نسبياً يروون الأحاديث لا عن النبي ﷺ مباشرة، بل عن طريق بعض الصحابة عن النبي ﷺ.فلو لم يكن منهج الإسناد موجوداً لما كان هؤلاء ينهجون هذا المنهج ويسيرون على هذا النمط.

ونخلص من ذلك إلى حقيقة هامة، وهي أن هذه الأدلة العلمية المنطقية الواضحة يستحيل معها القول بأن الأسانيد ونظامها اخترعت واختُلِقتْ في القرن الثاني ، وما دفع المستشرقون أمثال (شاخت) و(منتجومري) و(روبسون) إلى هذا القول إلا مجرد الظن والتخمين[3].

وأما ما زعمه (كايتاني) من عدم استعمال عروة للأسانيد، فإننا لا نشك في أن إسناده واضح وثابت ومنقول عنه شفاهاً في الغالب في كتب الحديث المعتمدة كموطأ مالك، ومصنف عبد الرزاق، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرها من الكتب التي روت لنا أسانيده عن تلاميذه كالزهري وغيره، الأمر الذي يؤكد بشكل لا لبس فيه ولا غموض التزام عروة كغيره بالسند وأنه إن حصل إرسال في سنده في نقل من

---

(١) رواه الدارمي في مقدمة سننه ، باب الرجل يفتي بشيء ثم يبلغه عن النبي صلى الله عليه و سلم فيرجع إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم (١ / ١٦١) ح (٦٤٣). قال محققه حسين أسد: إسناده صحيح.

ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، باب الحض على استدامة الطلب والصبر: (١ / ١٩٧) ح (٣٩١).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: (٢ / ٢٩٥) ح (١٩٠٢).

(٣) ينظر: دراسات في الحديث النبوي / د. الأعظمي: (ص:٤١٤ -٤١٦)، المستشرقون والحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص: ١٠١).

النقول فلعله راجع إلى اختصاره ذلك النقل لسبب ما[١].

وأما الحديث الذي درسه (شاخت) في بحثه واتخذه مثالاً يحكم من خلاله على الإسناد بالاعتباط فقد ردّ عليه بعض العلماء وأوضح أن الباحث لم ينقل كلام الزرقاني كاملاً ؛ لأن الشافعي وهو من تلاميذ مالك بين وهم مالك في إسناد هذا الحديث كما وضحه الزرقاني نفسه، وبعد المقارنة بين رواية مالك وغيره من الرواة وكانوا سبعة أشخاص وجد أنهم - أي السبعة - اتفقوا في رواية هذا الحديث، وخالفوا مالك، لذا كان من السهل اكتشاف خطأ مالك، ولو كان من عاداتهم الشائعة ربط الأسانيد بالأحاديث المختلفة لما أمكن معرفة ذلك الخطر وإزالته، وهذا يثبت أنه من المتعذر وجود أسانيد وهمية وخيالية، وعلاوة على ذلك لا يمكن لأحد أن ينكر أن الخطأ طبيعة البشر مهما علت درجاتهم، وبالتالي ليس من الإنصاف العلمي للباحث أن يتخذ من أخطاء الآخرين مادة لدراسة الحالات السوية، واستخراج النتائج منها كما فعل (شاخت)[٢].

وأما ما شنه (كولسون) من هجوم على الأسانيد، واتهامه للصحابة بوضع القصص والأخبار، فيحتاج إلى دليل يثبت به دعواه هذه، ومنذ متى أجاز المسلمون الكذب على نبيهم ﷺ وهم يروون عنه ﷺ الوعيد على متعمد الكذب؟؟[٣]

لقد مكث النبي ﷺ في أصحابه ثلاثة وعشرين عامًا، يترل فيها الوحي تباعاً، فكانت أقواله وأفعاله وهديه ترجماناً لما ينزل عليه، وقد نزهه الله عن كل ما يشينه في ذلك: قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[٤].

---

(١) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص:٩٦).

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: (١/ ١٠٥).

(٣) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين: (ص:١٠٠).

(٤) الآيتان (٣-٤) من سورة النجم.

وأمر بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

وأثنى على صحابته المتبعين هديه وسنته فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[2].

* * *

المبحث الثاني
شبهة المستشرقين حول متن الحديث

توطئة: في التعريف بالمتن لغة واصطلاحا:

المتن في اللغة:

المَتْنُ من الأرض ومن كل شيء ما صَلُبَ ظَهْرُه، وارتفع، والجمع مُتُون ومِتَانٌ[3].

المتن في الاصطلاح:

في الاصطلاح: استعمل فيما ينتهي إليه السند والإضافة فيه للبيان[4].

شبهة المستشرقين حول متن الحديث:

لعل من أبرز الشبه التي يرددها المستشرقون حول متن الحديث هو ادعاؤهم أن

---

(١) من الآية (٧) من سورة الحشر.

(٢) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.

(٣) ينظر: الصحاح: (٢/ ١٦٠٧)، لسان العرب: (١٣ / ٣٩٨).

(٤) توجيه النظر إلى أصول الأثر: (١ / ٨٩).

اهتمام أهل النقد جاء مركّزاً على السند، وتاريخ الرجال، وأن المتن لم يحظَ باهتمام المحدثين النقاد مثلما حظي السند، وهذا - على حد زعمهم - منهج يتسم بالضعف، وعدم الوفاء بالمطلوب [(١)].

يقول **غاستون ويت**: "وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض" ثم قال: "لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ثم جَمَعَهُ الحُفّاظ ودوّنوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن لذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث"[(٢)].

أما المستشرق "كايتاني" فقد عقد فصلاً في كتابه "الحوليات الإسلامية" تعرض فيه لسند الحديث ومتنه، وكان مما ذكره في المتن قوله: "كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد جدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه"[(٣)].

وهم يتفقون فيما ذهبوا إليه في هذا الصدد مع المعتزلة الذين سبقوهم في ذلك[(٤)].

وكرّس المستشرق "فنسنك"[(٥)] الذائع الصيت جهده ووقته ورأس مجموعة من

---

(١) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي: (ص: ١٢٩)، دفاع عن السنة لأبي شهبة:(ص: ٣٧١).

(٢) الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية.. لأحمد محمد بوقرين [منتدى التوحيد].

(٣) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي: (ص: ١٢٩).

(٤) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد سند الحديث ومتنه، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم (ص: ٤٤٠)، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤ / ٣٢٩) عند ترجمته لواصل بن عطاء البصري حيث قال: "وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل، ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهدت عندي عائشة وعلى وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم".

(٥) أرند جان فنسنك مستشرق هولندي ولد عام ١٢٩٩هـ. كان أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن من سنة ١٩٧٢ إلى وفاته. وقام برحلات إلى ومصر وسورية وغيرهما من بلاد العرب. وانصرف إلى العناية بالحديث النبوي، فوضع بالانكليزية معجما للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتابا من كتب السنن والسيرة، استعان فيه بثمانية وثلاثين باحثاً من بلدان مختلفة، وأعانته مالياً أكاديمية العلوم في امستردام ومؤسسات أخرى، نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وسماه (مفتاح كنوز السنة) وتولى فنسنك تحرير (دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩٢٥م، بلغاتها الثلاث، فأتم منها أربعة مجلدات وخمس ملازم. وكتب مقالات كثيرة في مجلات مختلفة.

وله كتب عن الإسلام والمسلمين منها: "العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي"، "فكر الغزالي" ينظر: الأعلام للزركلي: (١ / ٢٨٩-٢٩٠)،موسوعة المستشرقين / عبد الرحمن بدوي (ص: ٤١٧).

المستشرقين في عملين كبيرين:

أحدهما: "دائرة المعارف الإسلامية".

وثانيهما: في مجال فهرسة السنة، وأصدر كتابين هما:

"مفتاح كنوز السنة" و"المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي".

ومن أقواله: "لقد تطورت الأفكار، وكذلك العمل بعد وفاة محمد بعدة عقود، وهذا التطور منح القادة الروحيين فرصة لبيان روح الإسلام في الأحاديث،.ومن أهمها على الإطلاق حديث: (العقيدة والشهادة) و(بني الإسلام على خمس)"[1].

أما جولد تسيهر[2] فيقول: إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج[3].

ويقول: لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث يغلب عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى، ولكن من ناحية أخرى فإنه من السهل تبيين هذا الخطر المتجدد عن

---

(١) ينظر: المستشرقون والسنة / د. سعد المرصفي (ص:٤٩- ٥٠) .

(٢) إجنازجولد تسيهر (١٨٥٠م –-١٩٢١م)

مستشرق مجري موسوي ولد عام ١٢٦٦هـ، تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك. ورحل إلى سورية سنة ١٨٧٣م، فتعرف بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة. وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر. وعين أستاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها عام ١٣٤٠هـ، له تصانيف باللغات الالمانية والانكليزية والفرنسية، في الإسلام والفقه الاسلامي والأدب العربي، ترجم بعضها إلى العربية. ونشرت مدرسة اللغات الشرقية بباريس كتاب بالفرنسية في مؤلفاته وآثاره، استدلالي المنهج، يعتمد كثيراً على البصيرة والوجدان، ومن مؤلفاته: "العقيدة والشريعة"، الظاهرية ومذهبهم" "الوثنية والإسلام" والذي قدم فيه صورة صادقة، ونظرة نافذة في تاريخ الحديث وتطوره، وكشف عن قيمة الحديث لا باعتباره حقائق، وإنما باعتباره مصدراً عظيماً لمعرفة الاتجاهات السياسية والدينية والروحية عامة والتي وجدت في الإسلام في مختلف العصور. ينظر: الأعلام للزركلي: (١ / ٨٤)، موسوعة المستشرقين / عبد الرحمن بدوي (ص: ١٩٩)، الاستشراق: (١ / ٤٨).

(٣) المسشرقون والحديث النبوي: (ص:١٤٦).

بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلي بأن يخترع أهل المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها، ويرجع بها إلى الرسول و أصحابه.

فالحق أن كل فكرة وكل حزب وكل صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له في الرأي يسلك أيضاً هذا الطريق، ومن ذلك لا يوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أي شائبة.

و لم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر، ومن أجل هذا وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته، وهو علم نقد الحديث، لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة، ومن السهل أن يفهم وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا، تلك التي لا تجد لها مجالاً كبيراً في النظر في بعض الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكناً.

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولاً، وكان ذلك في القرن السابع الهجري، فقد جمع فيها علماء من القرن الثالث الهجري أنواعاً من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة[(١)].

كما بارك جولد تسيهر موقف المعتزلة من السنة النبوية، ورأى أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر وتؤيد ضد المتشددين الحرفيين الجامدين على النصوص[(٢)].

ويقول شاخت: ومن المهم أن نلاحظ أنهم أي – المحدثين – أخفوا نقدهم لمادة

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام / جولد تسيهر: (ص: ٤٩-٥٠). المستشرقون والحديث النبوي: (١٤٥-١٤٦).

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام / جولد تسيهر: (ص: ١٠٩-١١٠). كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها / عماد السيد الشربيني: (١ / ١٢٥).

الحديث وراء نقدهم للإسناد نفسه[1].

الرد على هذه الشبهة:

لقد اهتم علماء الحديث اهتماماً بالغاً بدراسة متن الحديث واستوفوا تلك الدراسة وبذلوا قصارى جهدهم في العناية به[2].

ولم يكن علم الحديث دراية وحده مهتماً بنقد المتن، ووضع القواعد الخاصة لذلك، بل نجد أن علم الحديث رواية كان ميداناً لنقد المتن، إذ البحث في نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ يتناول جوانب فقهية، واعتقادية، وخلقية، وتوضيحية للقرآن الكريم، وكان النقد والتحليل جارياً على الأحاديث التي تناولت تلك الجوانب[3].

ولم يكن هذا الاهتمام أمراً جديداً في العصور المتأخرة، ولكن الصحابة هم الذين وضعوا الأسس الأولية لهذا الاهتمام بنقد المتن.

وكانوا يردون بعض ما يروى لهم من الأحاديث لعدم اتفاق المروي مع ما يظن العالم منهم أنه من قواعد الدين.ويظهر مثل هذا في قول عائشة رضي الله عنها (أو نجس موتى المسلمين؟ وما على رجل لو حمل عودا)[4].

وذلك عندما سمعت أبا هريرة ﷺ يروي: (من غسل ميتاً اغتسل، ومن حمله توضأ).

(١) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي: (ص:١٦٦).

(٢) الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية.. لأحمد محمد بوقرين [منتدى التوحيد].

(٣) ينظر: المستشرقون والحديث النبوي: (ص: ١٣٢).

(٤) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: (١ / ١٢٢)

قال الزركشي: وَاعْلَمْ أن جَمَاعَة من الصَّحَابَة رَوَوْا هَذَا الْحَدِيْث ولم يَذْكُروا فِيْهِ الوضوء من حمله؛ مِنْهُم عَائِشَة رضي الله عنها.

وقال ابن عباس في ذلك أيضاً: لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة[١].

وفي قول ابن عباس: يا أبا هريرة أنتوضأ من الدهن؟ أنتوضأ من الحميم؟ عندما سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ: الوضوء مما مست النار ولو من ثور إقط[٢].

وقد توقف عبد الله بن عمر ﷺ في قبول حديث أبي هريرة ﷺ (من تبع جنازة فله قيراط) حتى سأل عائشة رضي الله عنها التي صدّقت أبا هريرة فقَبِلَ الحديث وقال: (لقد فرطنا في قراريط كثيرة)[٣].

هذه بعض الأمثلة على تحري الصحابة رضوان الله عليهم في المتن ونظرهم فيه، ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن ردّهم لبعض الأحاديث لم يتعدَّ الاختلاف في فهم تلك الأحاديث، أو أن مدلول الحديث كان معمولاً به، ثم نسخ بعد ذلك، فظل على العمل بروايته، أو توقف الصحابي فيما لم يبلغه من الأحاديث حتى يتأكد من أنها صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم[٤].

وقد قوي الاهتمام بنقد المتن والنظر فيه في عهد التابعين ومن بعدهم من أئمة النقد ومن الأمثلة على ذلك:

١) حدث سويد بن عبد العزيز عن مغيرة قال: خرجنا إلى شيخ بلغنا أنه يحدث بأحاديث، فلما انتهينا إلى إبراهيم قال: ما حبسكم؟ قلنا أتينا شيخاً يحدث بأحاديث، قال إبراهيم: لقد رأيتنا وما نأخذ الأحاديث إلا ممن يعرف وجوهها، وإنا لنجد الشيخ

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع: (٣٢/١)، المبسوط للسرخسي: (١٤٩/١).

(٢)سنن الترمذي (١ / ١١٣)، أبواب الطهارة، باب ما جاء في الوضوء مما غيرت النار: (١١٣/١) ح (٧٩). قال الألباني: حسن.

(٣) سنن الترمذي، الجنائز، باب ما جاء في فضل الصلاة على الجنازة: (٣ / ٣٥٧) ح (١٠٤٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد سند الحديث ومتنه، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: (ص: ٣١٧-٣١٨).

يحدث بالحديث يحرّف حلاله من حرامه وما يعلم[1].

٢) عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال قال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعلي « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ». قال سعيد فأحببت أن أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر فقال أنا سمعته. فقلت آنت سمعته فوضع إصبعيه على أذنيه فقال نعم وإلا فاستكتا[2].

٣) عن أبي الدرداء ﷺ: قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، فقال: "ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟ قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قاله أبو الدرداء قال: صدق أبو الدرداء"[3].

٤_ قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا أيوب عن ابن أبي مليكة قال: "قال لي ألا تعجب؟ حدثني القاسم عن عائشة أنها قالت: (أهللتُ بالحج)... وحدثني عروة عنها أنها قالت: (أهللتُ بعمرة) ألا تعجب؟"[4].

وفي عصر أتباع التابعين اتخذ النقد شكلاً جديداً حيث تخصص له بعض النقاد مثل: الإمام مالك، والثوري، وشعبة ومن بعدهم كالإمام عبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، والإمام الشافعي، ثم بعدهم ابن معين وعلي

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١ / ٢٩).
(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل على بن أبي طالب ﷺ: (٧ / ١١٩) ح (٦٣٧٠).
(٣) سنن الترمذي، العلم، باب ذهاب العلم (٥ / ٣١) ح (٢٦٥٣).
(٤) العلل ومعرفة الرجال: (٢ / ٣٨٩) ح (٢٧٣٧)، مسند أبي عوانة: (٢ / ٢٨٧) ح (٣١٦٥).

بن المديني والإمام أحمد وغيرهم.

وقد كانت كتبهم تدور حول الاهتمام بالسند والمتن، ونقل عنهم ما يدل بجلاء على رفضهم لكثير من الرواة لا لشك في عدالتهم بل لغفلتهم، وعدم إدراكهم ما يقرأ عليهم، أو عدم تفريقهم بين الصحيح والغلط في المتون.

ومن هنا نجد أن عدم كفاءة الراوي في ضبط المتن ونقله كما ورد من مصدره الأصلي كان سبباً كافياً في تجريح الراوي، وعدم الاحتجاج بنقله.

وقد أشار الحافظ ابن عبد البر رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله:

"وقد يكون المحدث عدلاً جائز الشهادة ولا يعرف معنى ما يحمل فلا يحتج بنقله"(١).

والأمثلة على اهتمام هؤلاء النقاد كثيرة متوافرة(٢).

وفي ذلك يقول الشيخ حسن البنا في رسالته في "علم الحديث": إن اتهام السلف رضوان الله عليهم بإهمال النظر في المتون جملة غير صحيح، فكثيرا ما كانوا يعنون بهذه النظرة، ويردون بعض المرويات لهذا السبب، ويتخذون من عدم انطباق المتن على قواعد الشرع الجلية دليلاً على ضعف إسناده، وعدم نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووهم راويه، فرُوح النظر في المتون، والاستدلال بها على درجة الحديث كانت موجودة(٣).

قاعدة يغفل عنها المستشرقون:

هناك قاعدة مشهورة عند علماء أصول الرواية وهي: أنه لا تلازم بين السند

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١ / ٢٩).

(٢) ينظر للاستزادة: اهتمام المحدثين بنقد سند الحديث ومتنه، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: (ص:٣٢١).

(٣) رسالة في علم الحديث / الشيخ حسن البنا [المكتبة الشاملة].

والمتن[1]، إذ قد يصح السند أو يحسن لاستجماع شروطه من الاتصال، والعدالة، والضبط دون المتن لشذوذ أو علة، وقد لا يصح السند ويصح المتن من طريق آخر.

هذه القاعدة التي اتبعها النقاد في نقدهم للحديث تنقض من الأساس دعوى كايتاني وأمثاله بعدم اهتمام علماء الحديث بنقد المتن والاقتصار في نقدهم على السند فقط[2].

وقد اعتبر الدكتور نور عتر هذه الشبهة التي أثارها المستشرقون حول المتن من أخطر الشبهات حيث قال في معرض دحضه لهذه الشبهة:

"هذا أخطر إشكالات المستشرقين وأشهرها، وإن كان أشدها ضعفاً وأوضحها سقوطا، لكنهم عنوا بتسديده نحو قواعد المصطلح ؛ ليظهروا هذا العلم بمظهر العلم الناقص الذي يرى شيئاً شكلياً هو ما أسموه "النقد الخارجي" أي نقد السند، على حين أنه يعشو بصره عن أشياء خطيرة في النقد، حيث إنه بزعمهم لا يعتني بنقد المتن الذي يسمونه "النقد الداخلي".

ثم شرع في رده على بعض الكتاب المسلمين الذين تلقفوا هذا عن المستشرقين دون وعي وإدراك فامتلأت صحائفهم بما لم تحط به عقولهم فقال:

١- "أن الدكتور أحمد أمين ذكر أنهم قسموا الحديث بحسب النقد الخارجي إلى صحيح وحسن وضعيف وشاذ..إلخ.

والحقيقة التي نعرفها منذ حداثة عهدنا بعلم الحديث أنهم قسموا الحديث بحسب النقد الداخلي والخارجي إلى الأقسام التي ذكرها، لا بحسب النقد الخارجي فقط.

بيان ذلك أنك تجد من شرط الحديث الصحيح والحسن أن لا يكون شاذاً ولا

(١) هذه القاعدة أوضحها بالأمثلة الدكتور نور الدين عتر في كتابه "منهج النقد في علوم الحديث": (ص: ٢٩٠وما بعدها).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية / الجزء الثاني / هامش ٢٨٣/ تعليق: أمين الخولي، نقلاً عن: المستشرقون والحديث النبوي / د. محمد بهاء الدين (ص: ١٣٣).

معلاًّ، ثم نقرأ كلام القوم وإذا هم يقسمون الشذوذ إلى شذوذ في المتن وشذوذ في السند، كذلك يقولون: إن العلة قد تكون في المتن كما قد تكون في السند، فلو كان ناقد المحدثين اطلع على مؤلف يسير في علم الحديث أكان يجترئ على أن يقول ما قال، بل إنا نكتفي منه أن ينظر نظرة في تعريف علوم الحديث إذا لوجده علما يبحث في أحوال السند والمتن، لكنه سقط فيما عابه بزعمه على المحدثين.

٢- أن المحدثين قد احتاطوا من النظرة الشكلية حيث قرروا قاعدة اتفقوا عليها وهي أنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن، بالعكس أيضا فإنه لا تلازم بين ضعف السند وضعف المتن، وهذا واضح في قواعد هذا العلم مسلم به لا يحتاج إلى الاستكثار من النقول والتطويل بها، وهو يدل بما لا يدع مجالا للشك على أن المحدثين النقاد قد احتاطوا لكل احتمال وأعدوا له العدة العلمية في منهج موضوعي متعمق بعيد غاية البعد عن الشكلية والانخداع بالمظاهر.

٣- أن النقد الداخلي كان أول علوم الحديث وجوداً حين كان الناس على العدالة، وذلك في عصر الصحابة.

٤- أن فكرة الاعتماد على النظر في المتن وحده ليست من اختراع المستشرقين، بل أن تجربتها قد سبقت في تاريخ المسلمين القديم على أيدي أناس جعلوا الرأي وحده يتحكم في المتون سلباً وإيجاباً نفياً وإثباتا، وقد أسفرت التجربة عن أسوأ النتائج وأغرب التناقضات"[1].

* * *

(١) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث / د. نور الدين عتر: (ص: ٤٦٧-٤٧٠).

المبحث الثالث

شبهة المستشرقين حول الوضع في الحديث

توطئة: في التعريف بالموضوع، وحكم روايته:

هو الكلامُ الذي اختلقهُ وافتراهُ واحدٌ من الناسِ ونسبهُ إلى رسولِ اللهِ (، ويُعرفُ بأمورٍ منها: إقرارُ قائلهِ، وركّةُ ألفاظهِ، ومخالفتهُ لصريح القرآنِ وصريحِ السنّةِ المتواترةِ وللقواعد العامّةِ...[1].

أي الذي ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا، وليس له صلة حقيقية بالنبي صلى الله عليه وسلم. وليس هو بحديث، لكنهم سموه حديثا بالنظر إلى زعم راويه.

وكثيرا ما يكون اللفظ المزعوم من كلام الحكماء أو الأمثال، أو من آثار الصحابة ينسبه الواضع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد يكون من نسج خياله وإنشائه.

والحديث الموضوع هو شر الأحاديث الضعيفة، وأشدها خطرا، وضررا على الدين وأهله.

وقد أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه، والتحذير منه، وذلك لما اشتهر من الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"[2].

افتعل الجدل هنا لينصب على قضية خطيرة بهدف الإخلال بالثقة في الأس الثاني للتشريع الإسلامي، وذلك بإثارة الشكوك فيه، والارتياب في مصدرية الحديث

(١) التعريفات الندية على المنظومة البيقونية: (١ / ٨).

(٢) منهج النقد في علوم الحديث: (١ / ٣٠١)، وينظر: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: (١ / ٦).

والاتكاء على حركة الوضع فيه[١].

وتنوعت أقوال المستشرقين حول الوضع في الحديث النبوي،وفيما يلي عرض لبعض تفسيراتهم لهذه الحركة :

أولاً: الميل إلى التغيير والتجديد:

يقول **شاخت**: انتهى بموت النبي ﷺ التشريع الذي كان يقوم على التتريل، أو على حجية النبوة، وكان من الطبيعي أن يحاول الخلفاء الأول السير بالأمة الإسلامية على سنة منشئها... إلى أن قال: انتهى هم الأمر إلى التوسع في تأويلها توسعاً خرج بها عن معناها الأصلي، وربما كان سبباً في ظهور أحاديث جديدة.

وقال: ربما صح تاريخياً ما تقوله الروايات من أن أبا بكر ﷺ كان يحتذي حذو النبي ﷺ في هذا الأمر، بينما كان عمر ﷺ أكثر ميلاً إلى التعديل والتغيير[٢].

ثانياً: الاشتغال بالحديث في الفترة مابين الحروب:

ومن العجائب أن يدعي بعض المستشرقين أن وضع الأحاديث كان وسيلة تنفيس وسلوان لأتباع النبي ﷺ الذين أنهكتهم الحروب في سبيل توسيع رقعة الإسلام يلجأون إليها يتذكرون به – على حد وصفهم- ماضياً جميلا...!

يقول **موير**: "بعد أن توفي النبي ﷺ كانت الحرب هي الشغل الشاغل لأتباعه، وكانت الفترات بين حرب وأخرى من أهم الكآبة والسآمة عند أولئك القوم، ورأوا أن الحديث عن الماضي هو العلاج الناجح للقضاء على البطالة، ولم يكن لديهم شيء لهذا الغرض أحلى من أقوال وأفعال ذلك الشخص الذي جعل منهم قوماً فاتحاً للبلاد،

---

(١) مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين / محمد البشير: (ص: ٣٣٩).

(٢) اهتمام المحدثين بنقد الحديث ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: (ص٤٤٤) نقلاً عن: أصول الفقه لشاخت: (٥٥-٥٦)، الشريعة الإسلامية له: (٣٤).

وأعطاهم مفاتيح الدنيا والدين فكان جل كلامهم يدور حول شخصية محمد ﷺ ومن هنا وجدت المواد التي ساعدت على ازدهار الحديث"(١).

دعاوى المستشرقين حول مسألة الوضع:

أولاً: دعوى اختلاط الموضوعات من الأحاديث بالصحاح منها،وتعذر التمييز بينها:

يقول **جولد تسيهر**: "ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول صلى الله عليه وسلم، أو من عمل رجال الإسلام"(٢).

ويقول **ميروغليوم** بعد ذكره لهذا الادعاء: "...إن الآلاف من الأحاديث التي راجت في أوقاتها لم يكن عليها مسح من الأصالة والصحة..."(٣).

وضرب لذلك مثلاً بالإمام البخاري رحمه الله حين اختار في صحيحه أربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث، مستدلاً بهذا الصنيع على وجود عدد هائل من الأحاديث الموضوعة مختلطة بالأحاديث الصحيحة(٤).

وهناك من قال بأن المسلمين في القرن الثاني شعروا بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع إلى الشكل فقط، وأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الإسناد كثير من الأحاديث الموضوعة، وساعدهم على هذا ما ورد من حديث:

---

(١) اهتمام المحدثين بنقد الحديث ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: (ص٤٤٤-٤٤٥) نقلاً عن كتاب : "حياة محمد " لميور .

(٢) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر: ص (٤١).

(٣) اهتمام المحدثين بنقد الحديث ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: (ص٤٤٦) نقلاً عن كتاب : لمحات في أصول الحديث: (ص: ٥٢).

(٤) اهتمام المحدثين بنقد الحديث ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: (ص٤٤٦).

(لا أعرفن ما يحدث أحدكم عني الحديث وهو متكئ على أريكته فيقول: أقرأ قرآنا، ما قيل من قول حسن فأنا قلته)[١].

وإذا كان هذا الحديث ضعيفاً لا تقوم به حجة المستشرقين فإنهم عمدوا إلى أحاديث موثوقة تبين ما يشير إلى الوضع ومن ذلك حديث ابن عمر:

(أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد، أو كلب غنم أو ماشية). فقيل لابن عمر: إن أبا هريرة يقول: أو كلب زرع . فقال ابن عمر: "إن لأبي هريرة زرعا"[٢].

قالوا: وهذه الملاحظة من ابن عمر تشير إلى ما يفعله المحدث لغرض في نفسه[٣].

ثانياً: دعوى مواجهة فتنة الوضع بوضع مثله للتحذير منه:

تعجب **جولد تسيهر** من الطريق الذي اختاره المحدثون الصالحون لمواجهة فتنة الوضع في الحديث، حيث زعم أنهم يضعون الحديث، ويدرجون في الأحاديث كلمات وجملاً تشير إلى العذاب الشديد الذي ينتظر أولئك الوضاعين، واستشهد بحديث (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٤]، وما في معناه وقال بأنها كلها من صنع المحدثين لمواجهة فتنة الوضع[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (٩/١) ح (٢١). قال الشيخ الألباني: منكر.

(٢) صحيح مسلم ،كتاب المساقاة، باب باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية (٥ / ٣٦) ح(٤١٠٢).

(٣) ينظر: دفاع عن السنة / لأبي شهبة رحمه الله (ص ٢٨٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (١ / ٤٣٤) ح (١٢٢٩).
صحيح مسلم، المقدمة، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ: (١ / ٧) ح(٤)

(٥) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد سند الحديث ومتنه، ودحض مزاعم المستشرقين: (ص:٤٤٦) نقلاً عن كتاب: الدراسات الإسلامية لجولد تسيهر: (٢/ ١٣٢-١٣٣).

ثالثاً: دعوى تشجيع الخلفاء على الوضع من حيث لا يشعرون، وإلباسه الصفة الرسمية منذ وقت مبكر:

يزعم المستشرقون أن الأمويين استغلوا أمثال الإمام الزهري في سبيل وضع الأحاديث فمن ذلك حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى)[١] والذي يمثل ميولهم السياسية في تقديس بيت المقدس وجعله مثل البيت الحرام، ومسجد المدينة حتى يكونوا محجاً للناس، ويتصل بتلك الأحاديث التي جاءت في بيان فضل بيت المقدس ثم أحاديث فضل الشام والمدينة، ولقد سمى الأمويون المدينة بالخبيثة، وبعضهم سماها بالمنتنة على خلاف تسميتها بطيبة[٢].

يقول جولد تسيهر: إن التوجيه الرسمي والنشاط الحكومي لوضع الأحاديث يرجع إلى فترة مبكرة جداً، ونجد صداه في وصية معاوية للمغيرة أن يشجب علياً وأتباعه، ويبعدهم ولا يسمع لهم كمصدر للأحاديث، والثناء الدائم على عثمان وأتباعه، وأن يكون على صلة قريبة منهم، والسماع عليهم كمصدر للأحاديث، ويقول: كانت هذه التوصية بمثابة منشور رسمي لوضع الأحاديث[٣].

رابعاً: تعدي الوضع في الحديث ليصل إلى أمور العبادات التي لا تتفق مع مذهب أهل المدينة:

كما هو معروف من أن خطبة الجمعة كانت خطبتين، وكان الخطيب يخطب

---

(١)صحيح البخاري: كتاب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة:(١ / ٣٩٨) ح (١١٣٢) صحيح مسلم كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٤ / ١٢٦) ح (٣٤٥٠).

(٢) ينظر: دفاع عن السنة / لأبي شهبة: (٢٨٣).

(٣) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد سند الحديث ومتنه، ودحض مزاعم المستشرقين: (ص:٤٤٥) نقلاً عن كتاب: الدراسات الإسلامية لجولد تسيهر: (٢/ ٤٤).

واقفا، وأن خطبة العيد كانت تتبع الصلاة، فغير الأمويون من ذلك فكان يخطب الخليفة يوم الجمعة جالساً، وجعلوا خطبة العيد قبل الصلاة، واستدلوا بذلك بما رواه رجاء بن حيوة من أن الرسول والخلفاء كانوا يخطبون جلوسا[١].

في حين قال جابر بن سمرة ﷺ: "أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما فمن نبأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة"[٢][٣].

الرد على شبهة المستشرقين حول وضع الحديث:

قبل الرد على الشبهة التي أثارها المستشرقون حول الوضع في الحديث يحسن بي أن أعرض بعضاً من **جهود العلماء في حفظ السنة وصيانتها** من التزيد والدس والأكاذيب:

تميز علماء الإسلام من عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى أن تم جمع السنة وتدوينها تدويناً عاماً بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، وتفقه أحكامها، ومناهضتهم لحركة الوضع في الحديث، وتعقبهم للكذابين والوضاعين، والكشف عن عوارهم وعارهم حتى أظهروهم على حقيقة أمرهم، فتجنبهم الناس، ولم ينخدعوا بظواهرهم[٤].

وسلكوا في ذلك أقوم الطرق العلمية في النقد والتمحيص، وهم أول من وضع قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها[٥].

---

(١) لم أقف على مصدرهم في هذا الاستدلال.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة (٣ / ٩) ح (٢٠٣٣).

(٣) ينظر: دفاع عن السنة / لأبي شهبة: (ص: ٢٨٣).

(٤) ينظر: دفاع عن السنة / لأبي شهبة: (ص: ٢٩٠).

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: (ص: ١٠٨).

وقد وردت أقوال لأئمة الحديث تجلي لنا الموقف المشرف الذي وقفه العلماء من الوضع والوضّاعين:

يقول ابن الجوزي (٥٩٧هـ): «ولما لم يمكن أحد أن يدخل في القرآن شيئا ليس منه أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ وينقصون، ويبدلون ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله عزوجل علماء يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح ويفضحون القبيح، وما يخلى الله عزوجل منهم عصرا من العصور»[١].

قال سفيان الثورى (١٦١هـ): «الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض».

وقال يزيد بن زريع «لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد».

وعن ابن المبارك(١٨١هـ) أنه قيل له هذه الأحاديث الموضوعة!! فقال «تعيش لها الجهابذة»[٢].

الوسائل العلمية الدقيقة التي اتبعها المحدثون في التحري والتثبت ومقاومة الوضع في الحديث:

١- البحث في أحوال الرجال وتتبع سلوكهم ورواياتهم، حتى فارقوا من أجل ذلك الأهل والأوطان، وقنعوا بالكِسَر والأطمار في طلب السنن، ومعرفة الرواة، وقد ميزوا بذلك بين الثقات الأثبات، وبين أهل الصدق الذين وقع لهم تخليط، وأهل الكذب والفسوق، وذلك بتطبيق المعايير التي تثبت العدالة والضبط.

٢- التحذير من الكذابين وفضحهم، والإعلان بكذبهم على رؤوس الخلائق.

قال يحي بن سعيد: سألت شعبة وسفيان الثوري ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي: (١ / ٣١).

(٢) تنـزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة: (١ / ١٨).

عن الرجل يتهم في الحديث أولا يحفظه؟ قالوا: بين أمره للناس[١].

وقال سفيان بن عيينة: كنا نتقي حديث داود بن الحصين[٢].

٥- وضع ضوابط يكشف بها الحديث الموضوع.

٦- التصنيف في الأحاديث الموضوعة، للتنبيه عليها، والتحذير منها[٣].

ويحسن في هذا المقام إلقاء الضوء على أبرز مصادر الحديث الموضوع:

عني أئمة الحديث بتأليف الكتب في بيان الأحاديث الموضوعة، وبذلوا في ذلك غاية جهدهم، صيانة للمسلمين من الوقوع في الباطل، وذباً عن الدين الحنيف.

ومن أهم هذه المصادر ما يلي:

١- **الموضوعات:** للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وهو من أ قدم وأوسع ما صنف في هذا الفن.

٢- **"اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة"** للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) اختصر فيه كتاب ابن الجوزي، وتعقبه فيما ليس بموضوع، وألحق روايات من الموضوعات لم يذكرها ابن الجوزي، فجاء كتاباً حافلاً عظيم النفع.

٣- **"تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة"** للحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ).

لخص فيه موضوعات ابن الجوزي وما زاده السيوطي وغيره في تآليفهم الكثيرة. وقدم له بفصل جمع فيه أسماء الكذابين فتجاوز عددهم ألفاً وستمائة، وهي فائدة قيمة جداً أتى بها هذا الكتاب.

---

(١) الكفاية في علم الرواية / الخطيب البغدادي: (١ / ٤٣).

(٢) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (١ / ٣١).

(٣) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث/ لنور الدين عتر : (١ /٣٠٧- ٣٠٩).

٤- **"المنار المنيف في الصحيح والضعيف"** للحافظ ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ).

٥- **"المصنوع في الحديث الموضوع"**. للحافظ علي القاري (ت١٠١٤هـ)[١].

الرد التفصيلي على الشبه حول الوضع في الأحاديث:

بعد أن تبين لنا الجهد العظيم الذي بذله علماء الإسلام في المحافظة على السنة وتمييزها عما ما ليس منها نشرع في دحض بعض الشبه السابقة حول هذا الموضوع:

أما ما زُعِم من اختلاط الأحاديث الضعاف بالصحاح وعدم القدرة على تمييزها فيرده ما سبق بيانه من الجهود العظيمة والوسائل الدقيقة والمصنفات العلمية الخاصة التي اهتمت بهذا الموضوع وسُخِّرَت لخدمته.

وأما ما ذكر من اختيار البخاري رحمه الله لأربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث، وأن هذا يدل على وجود عدد هائل من الأحاديث الضعيفة المختلطة بالأحاديث الصحيحة.

فيقال في الجواب عنه: أن المحدثين لم يغفلوا عن هذا الأمر بل درسوه وبينوا السبب الذي دفع الإمام البخاري لهذا الصنيع وهو أن كل سند للحديث كان يعد عند المحدثين حديثاً مستقلاً قائماً بذاته، فالحديث الذي يروى بخمسمائة سند يعتبر خمسمائة حديث وليس حديثاً واحداً، فيختار الإمام البخاري مثلاً سنداً واحداً من الخمسمائة سند[٢].

وأما ما استدل به المستشرقون من قول ابن عمر تعليقاً على حديث أبي هريرة "إن لأبي هريرة زرعا" فقد نقل الإمام النووي قول العلماء في المراد من ذلك فقال:

---

(١) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث: (١ / ٣١٧-٣١٨).

(٢) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين: (ص: ٤٥٠).

قال العلماء ليس هذا توهيناً لرواية أبي هريرة ولا شكاً فيها بل معناه أنه لما كان صاحب زرع وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه، والعادة أن المبتلى بشيء يتقنه ما لا يتقنه غيره ويتعرف من أحكامه ما لا يعرفه غيره، وقد ذكر مسلم هذه الزيادة وهي اتخاذه للزرع من رواية ابن المغفل ومن رواية سفيان بن أبي زهير عن النبي ﷺ، وذكرها أيضا مسلم من رواية ابن الحكم واسمه عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي عن ابن عمر فيحتمل أن ابن عمر لما سمعها من أبي هريرة وتحققها عن النبي ﷺ رواها عنه بعد ذلك وزادها في حديثه الذي كان يرويه بدونها، ويحتمل أنه تذكر في وقت أنه سمعها من النبي ﷺ فرواها ونسيها في وقت فتركها، والحاصل أن أبا هريرة ليس منفرداً بهذه الزيادة بل وافقه جماعة من الصحابة في روايتها عن النبي ﷺ ولو انفرد بها لكانت مقبولة مرضية مكرمة [١].

وأما ما زعمه المستشرق ميور من أن الأحاديث وليدة المحادثات بين أصحاب النبي ﷺ في فترات الحروب يتنفسون فيها ويتذكرون ماضيهم الجميل...

فيقال في الجواب عنه: إن الواقع لا يؤيد ذلك حيث لم يعرف عن الأصحاب الكرام الذين انشغلوا بالجهاد أنهم من أهل الرواية بل إن أكثرهم من المقلين، أما الذين اشتهروا بالرواية والحفظ فلم يعرفوا في ميادين الجهاد مثل:

أبي هريرة، وابن عباس، وعائشة، وابن عمر، وجابر، وأنس، وأبي سعيد الخدري **(من المكثرين)**.

ومثل: علي بن أبي طالب وعمر الفاروق **(من المتوسطين)**.

وأبي بكر وعثمان **(من المقلين)** رضوان الله عليهم أجمعين فإن هؤلاء لم يشتركوا في الحروب بعد وفاة الرسول ﷺ [٢].

وأما ما زعمه (جولد تسيهر) من أن الأمويين استغلوا الإمام الزهري وأمثاله في

---

(١) شرح النووي على مسلم: (١٠ / ٢٣٦-٢٣٧).

(٢) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ودحض مزاعم المستشرقين: (ص: ٤٤٩).

وضع أحاديث لهم مثل حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...) الحديث.

فيقال: إن قوله هذا يهدف إلى الطعن في علم من أعلام الحفاظ المتقنين، فإذا كان هذا حاله من التزلف للحكام، وطلب رضاهم يدفع به إلى الوضع الشنيع فكيف الحال مع من هو دونه في العلم والفضل، وهم يقصدون بهذا الطعن الخاص للزهري طعناً في الرواة عامة[1].

إن تشويه صورة هذا الإمام الفاضل الذي حاز شرف تدوين السنة بصورته الرسمية هو المقصد الذي سعى وراءه المستشرقون.

وهذا مثال بسيط يوضح لنا بجلاء نزاهة هذا الإمام، ونصحه للخلفاء:

"دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك، فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات و لم يكتب له السيئات. قال: باطل يا أمير المؤمنين، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قل: بل نبي خليفة. قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال: إن الناس ليغووننا عن ديننا"[3].

وقد علق الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله على هذه القصة بقوله:

"فانظر إلى مدى ما تنتجه هذه الصلة من فائدة للأمة بين رجل كالزهري، وبين

(١) ينظر: دفاع عن السنة / لأبي شهبة: (ص:٣٠٠).
(٢) الآية (٢٦) من سورة ص .
(٣) العقد الفريد: (١ / ١٨).

خليفة كالوليد؟ ثم انظر هل ترى موقف الزهري موقف عالم يخضع لتأثير البيت المالك، ولا يخرج عن هواهم، ويستجيب إلى رغباتهم في وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ؟ أم هو موقف العالم الناصح ينصح لدين الله والمسلمين ويذب عن سنة رسول الله ﷺ أكاذيب الوضاعين؟ ويدفع عن خليفة المسلمين وقوعه تحت تأثير الرواة الكذابين، فلا يستمر في ظلم، ولا يتمادى في باطل"[(١)].

ثم إن حديث (لا تشد الرحال...) مروي في كتب السنة كلها، ومن طرق مختلفة غير طريق الزهري، أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ من غير طريق الزهري، وأخرجه مسلم من ثلاث طرق إحداها من طريق الزهري، والثانية من جرير عن ابن عمير عن قزعة عن أبي سعيد، والثالثة: من طريق ابن وهب عن عبد الحميد بن جعفر عن عمران بن أبي أنس عن سلمان الأغر عن أبي هريرة، **فالزهري لم ينفرد بالحديث كما زعم جولد تسيهر**[(٢)].

وأما ما زعمه من الوضع في الأحكام التي لا تتفق هي وما يراه أهل المدينة في أحكام العبادات فهو كلام مبني على الحدس والتخمين والتهجم والتجني.

ولم يكن لخليفة أو غيره أن يتزيد في أمور الدين، أو يغير منه وهو في مأمن من غضب الناس ونقمتهم عليه، لقد كان الناس لهم بالمرصاد حينما أنكروا بعض التغييرات التي أحدثوها في بعض العبادات، **والأمثلة شاهدة على ذلك**، ومنها:

ما رواه الذهبي في "تذكرة الحفاظ"[(٣)] في ترجمة ابن عمر رضي الله عنهما: أن ابن عمر قام والحجاج يخطب فقال: عدو الله استحل حرم الله، وخرب بيت الله، وقتل أولياء الله فقال الحجاج من هذا؟ فقيل: عبد الله بن عمر، فقال الحجاج: اسكت يا

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: (ص: ٢٤١).
(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: (ص: ٢٤٥).
(٣) (١ / ٣١).

شيخاً قد خرف".

وروى عنه أيضاً أن الحجاج خطب فقال: "إن ابن الزبير بدّل كلام الله، فقام ابن عمر فقال: كذب لم يكن بن الزبير يستطيع أن يبدل كلام الله ولا أنت، قال إنك شيخ قد خرفت اقعد، قال أما أنك لو عدتَ عدتُ"[(١)].

وقد عرف عن الحجاج عنفه وتسلطه، ومع ذلك لم ينثن الأقوياء إيماناً عن قول الحق بين يديه.

إن الوضع حدث بعد بني أمية حين وجدت العصبية المذهبية، واشتدت الخلافات الفقهية، ومع كل هذا نجد أن الفقهاء والعلماء عموماً لم يتساهلوا إطلاقاً فيما يدل من الأحاديث على الأحكام ؛ لأن بها معرفة الحلال من الحرام.

أما مسألة وقوف النبي ﷺ في خطبة الجمعة ومن بعده من الخلفاء، حتى جاء معاوية فخطب قاعداً، فلا بد من معرفة الظروف والملابسات التي صاحبت هذا الفعل حتى يتسنى الفهم ويبطل العجب.

فقد روى ابن شيبة بسنده إلى الشعبي أنه قال: "إنما خطب معاوية قاعدا، حين كثر شحم بطنه ولحمه"[(٢)].

وروى البيهقي في "سننه"[(٣)] قول الشعبي: "أول من أحدث القعود على المنبر معاوية قال الشيخ أحمد يحتمل أنه إنما كان قعد لضعف لكبر أو مرض والله أعلم".

وأما ما استدلوا به من قول رجاء بن حيوة وأنه قال بأن النبي ومن بعده قد خطبوا وهم جلوس، فلم يشرِ المستشرقون إلى مصدرهم في هذا القول، وقد بحث عنه بعض

---

(١) تذكرة الحفاظ: (١ / ٣٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الصلاة، باب من كان يخطب قائما : (٢ / ١١٣) ح (٥٢٣٦).

(٣) سنن البيهقي الكبرى، كتاب الجمعة، باب الخطبة قائماً : (٣ / ١٩٧) ح(٥٤٩٨).

العلماء فلم يقف عليه، وحاولتُ - بجهدي المتواضع - البحث عنه عبر الموسوعات الالكترونية فلم أجد له أثراً والله أعلم، ولكن كما أجاب فضيلة الشيخ أبو شهبة رحمه الله من أن رجاء بن حيوة هو أحد الحفاظ النبلاء، ولم يتهم بوضع ولا اختلاق في الأحاديث.

أما حديث جابر بن سمرة فهو رد لما يحتمل أن يظنه الناس من أن التغيير كان له أصل في الأحاديث النبوية، أو لما يحتمل أن يفعله بعض ضعفاء الإيمان الذين يلجؤون إلى هذا الأسلوب تزلفاً للحكام والأمراء، وليس في حديث جابر ﷺ ما يدل على أنه وُضِع حديث في هذا الأمر فعلاً.

وأما خطبة العيد فقد قدمها على الصلاة معاوية وعماله؛ لأن الناس ما كانوا يجلسون إليهم بعد الصلاة لاستماع الخطبة، ولم يسلموا من إنكار الأمة والتشنيع عليهم بسببه، ولم نسمع أن معاوية وعماله احتجوا لما فعلوه بحديث أبي سعيد الخدري الذي أنكر على مروان تقدم الخطبة فقال:

"خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو الفطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرقيه قبل أن يصلي فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة"[١].

وقال الكشميري: "السنة الخطبة بعد العيدين، وتلقاه الأمة بالقبول، وخالفها مروان، فإنه كان يهجو في خطبته علياً، واستنكره الناس، وكانوا لا يسمعون الخطبة، فقدم الخطبة ليستمعوها"[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر: (١ / ٣٢٥-٣٢٦) ح (٩١٣).

(٢) العرف الشذي: (٢ / ٧٩).

وروى ابن المنذر بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: "أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلى بالناس ثم خطبهم يعني على العادة، فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة، ففعل ذلك أي صار يخطب قبل الصلاة".

قال الحافظ: يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحياناً.

وروى عبدالرزاق عن ابن جريج عن الزهري قال: "أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية، وروى مسلم عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان".

وقد أخرج الشافعي عن عبدالله بن يزيد نحو حديث ابن عباس المذكور، وزاد: حتى قدم معاوية فقدم الخطبة "فهذا يشير إلى أن مروان إنما فعل ذلك تبعاً لمعاوية؛ لأنه كان أمير المدينة من جهته".

وروى ابن المنذر عن ابن سيرين أن أول من فعل ذلك زياد بالبصرة.

قال عياض: "ولا مخالفة بين هذين الأثرين وأثر مروان ؛ لأن كلاً من مروان وزياد كان عاملاً لمعاوية، فيحمل على أنه ابتدأ ذلك وتبعه عماله، والله أعلم وقد ظهر بما قدمنا أن العلة التي ذكرت لتقديم عثمان الخطبة على الصلاة غير التي اعتل بها مروان ؛ لأن عثمان راعى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة، وأما مروان فراعى مصلحتهم في إسماعهم الخطبة، لكن قيل: إنهم كانوا في زمن مروان يتعمدون"[١] .

* * *

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح: (٥ / ٥٧-٥٨).

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

بعد هذا العرض الموجز لبعض شبه المستشرقين حول الحديث النبوي والرد عليهم نخلص إلى بعض النتائج والتوصيات:

١) تأخرت دراسات المستشرقين للحديث النبوي نسبياً مقارنة بدراساتهم الأدبية والتاريخية.

٢) انتهج المستشرقون النزعة الجدلية في تناول القضايا المتعلقة بالحديث النبوي.

٣) أبرز الأهداف التي سعى إليها المستشرقون في دراساتهم المتعلقة بالحديث النبوي جاءت للتشكيك والطعن في قيمته، والتقليل من شأن النبي ﷺ وسنته يحركهم في ذلك الحقد الدفين على الإسلام وأهله.

٤) شن المستشرقون هجوماً على سند الحديث، مع أنهم لا سند لهم فيما يعتقدون، ولم يسلم لهم نقد ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، كما أنهم اختاروا مصادر غير أصيلة في هذا الباب مثل كتب السيرة والفقه والتاريخ، فكان ذلك سبب إخفاقهم.

٥) تهافت نقد المستشرقين لمتون الأحاديث، وما يقابله من قوة المنهج الذي سلكه المحدثون الذين تناولوا شطري الحديث بسنده ومتنه من غير اقتصار على متن الحديث كما فعل المستشرقون الذين استندوا إلى التعصب والهوى.

٦) إن ظاهرة الوضع في الحديث النبوي أمر واقع، أفرزته الظروف السياسية، والخلافات الدينية، وغيرها من الأمور المبسوطة في مظانها، ولكن علماء الحديث لم

يقفوا أمامها موقف العاجز، وإنما قاوموا هذه الظاهرة بطرق علمية متناهية في الدقة، وجهود مضنية خلصوا بها حديث رسول الله ﷺ مما علق به، وميزوا صحيحه عن غيره.

٧) تعددت وجهات نظر الباحثين ومواقفهم في العالم الإسلامي من كتابات المستشرقين فمنهم من انساق وراءها في انبهار، ومنهم من رفضها جملة وتفصيلا، ومنهم من سلك القصد فقبل ما كتبوه نزيهاً خالصاً، ورفض ما كتبوه مشوّهاً مغرضا شعارهم في ذلك: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ المائدة: (٨).

٨) إن مما يبهج القلب الصحوة العلمية النشطة، و الإمكانات المتاحة، والوسائل العلمية المتوفرة على مختلف الأصعدة، والمساعي المبذولة من المراكز العلمية الإسلامية بكل ما أوتيت من دعم ومساندة عبر وسائل الاتصال المعاصرة، إلا أنه يتأكد التذكير بضرورة استصحاب النية الصالحة والأهداف السامية عند الشروع في مثل هذه الأعمال العلمية، حيث إن الرد على الشبهات والطعون التي أثارها المستشرقون يتطلب عرض هذه الشبهات، والرد عليها بصورة علمية مقننة بعيدة عن النزعة الهجومية العدائية، تخاطب فيها العقول حتى يكون ذلك دافعاً للمستشرقين ومن سار على نهجهم لإعادة النظر في أقوالهم، وتصحيح ما لديهم من مفاهيم خاطئة حول الإسلام ومصادره وتاريخه وحضارته.

وبعد: هذا ما تهيأ إعداده، وتيسر إيراده، كقطرة من بحر في هذا الموضوع المتشعب الواسع، أسأل الله أن ينفعني بما كتبت، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾

﴿ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾

﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار

ثالثاً: المصادر والمراجع

- **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**: التبشير - الاستشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة** ، المؤلف: محمد بن بهادر ابن عبد الله الزركشي بدر الدّين المنهاجي،الْمِصْرِيّ الشَّافِعِيّ. (٧٤٥-٧٩٤هـ) المحقق: سعيد الأفغاني، د. عصمت الله، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة: الأولى: عام ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م، الثانية: عام ١٣٩٠هـ [المكتبة الشاملة].
- **الاستشراق**، إعداد د. مازن مطبقاني، [المكتبة الشاملة].
- **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم**، تأليف: د. محمد لقمان السلفي، دار الداعي للنشر والتوزيع، مركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية بالهند - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**، تأليف: د. أكرم ضياء العمري الناشر: مطبعة الإرشاد، الطبعة الثانية، سنة النشر:١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، مكان النشر: بغداد.
- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، تأليف: علاء الدين الكاساني (٥٨٧هـ).
- الناشر دار الكتاب العربي، سنة النشر: ١٩٨٢، مكان النشر: بيروت.
- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.
- **تذكرة الحفاظ**، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

▪ **التعريفات الندية على المنظومة البيقونية، جمع**: حمد بن صالح القمرا النابت، تقريظ الشيخ الدكتور / حافظ عبد الرحمن حفظه الله.

▪ **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث**، المؤلف: ابن شرف النووي، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة.

▪ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى، الناشر: مؤسسة القرطبة.

▪ **التمييز للإمام مسلم**، المؤلف: الإمام أبي الحُسين مسلم بن الحجاج القُشَيْري النيسابوري، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث [المكتبة الشاملة].

▪ **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة**، لأبي الحسن علي ابن محمد بن عرّاق الكناني، تحقيق:عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله بن محمد الغماري.

▪ **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، المؤلف: طاهر الجزائري الدمشقي، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

▪ **جامع بيان العلم وفضله**، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان – دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ.

▪ **الجامع الصحيح المختصر**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

■ **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.

■ **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

■ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٣، تحقيق: د. محمود الطحان.

■ **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، تأليف:د. محمد مصطفى الأعظمي [تصويرpdf].

■ **دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، وبيان الشبه الواردة على السنة قديماً وحديثاً وردها رداً علمياً صحيحاً**، تأليف: د. محمد بن محمد أبو شهبة ، الطبعة الأولى -١٩٨٩م.

■ **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، تأليف: د. مصطفى السباعي، داز الوراق للنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ -٢٠٠٧م.

■ **سنن ابن ماجه**، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر — بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

■ **سنن البيهقي الكبرى**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ — ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

■ **سنن الدارمي**، المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

■ **شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي**، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث.

■ **الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية**، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

■ **الضعفاء الكبير للعقيلي**، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث، [المكتبة الشاملة]

■ **العرف الشذي شرح سنن الترمذي**، المؤلف: محمد أنور شاه ابن معظم شاه الكشميري الهندي، تحقيق: محمود أحمد شاكر، تدقيق: مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع.

■ **العقد الفريد**، المؤلف: ابن عبد ربه الأندلسي، مصدر الكتاب: [المكتبة الشاملة].

■ **العقيدة والشريعة في الإسلام**، تأليف: أجناس جولد تسيهر، ترجمة: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، أ. عبد العزيز الحق، دار الكتب الحديثة بمصر – مكتبة المثنى ببغداد.

■ **العلل ومعرفة الرجال**، المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر: المكتب الإسلامي , دار الخاني - بيروت , الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس.

■ **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

■ **كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها**، المؤلف: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، الطبعة: الأولى / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، جمع وترتيب وفهرسة: عبد الرحمن الشامي [المكتبة الشاملة].

■ **الكفاية في علم الرواية**، المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، تحقيق: أبو عبدالله السورقي, إبراهيم حمدي المدني.

■ **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت. الطبعة الأولى.

■ **المبسوط**، تأليف:شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

■ **المستشرقون** (موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه)، تأليف: نجيب العقيقي، دار المعارف – الطبعة الرابعة.

■ **المستشرقون والحديث النبوي**، تأليف: د. محمد بهاء الدين، دار النفائس، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

■ **المستشرقون والسنة**، تأليف: د. سعد المرصفي، مؤسسة الريان، بيروت – لبنان.

■ **مسند أبي عوانة**، الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني (٣١٦هـ)، الناشر: دار المعرفة، مكان النشر بيروت.

- **مشكاة المصابيح**، للعلامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي مع **شرحه مرعاة المفاتيح** للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة.
- **مُصنف ابن أبي شيبة**، المصنف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ ـ ٢٣٥ هـ) تحقيق: محمد عوامة.
- **مقدمة الجرح والتعديل**، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة.
- **مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب**، إعداد: محمد البشير مغلي الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، مجموعة من المؤلفين، الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة – تونس ١٩٨٥م.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢م
- **منهج النقد في علوم الحديث**، تأليف: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر دمشق- سورية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
- **المحيط في اللغة**: المؤلف: الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد (ت٦٤٦هـ).

■ **موسوعة المستشرقين**، تأليف:د. عبد الرحمن بدوي، دار العلـــم للملايـــين- بيروت، الطبعة الثالثة - ١٩٩٣م.

■ **الموضوعات**: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي (ت ٥٩٧هـــ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبـــد الـــرحمن محمـــد عثمـــان، الطبعـــة: الأولى ١٣٨٦هـــ - ١٩٦٦م.

■ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـــ) تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٥ م.

■ **المقالات والمواقع الالكترونية:**

الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية.. لأحمد محمد بوقرين [منتـــدى التوحيد]. http://eltwhed.com

رسالة في علم الحديث: الشيخ حسن البنا [مقالة، المكتبة الشاملة].

مركز المدينة المنورة لبحوث ودراسات الاستشراق. http://mrs.٨k.com

مكتبة المهتدين لمقارنة الأديان. http ://www.al-maktabeh.com

* * *